

قوله تعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَن نَّزَمَّ مَا خَلَقْنَاكُمْ عَدْتًا وَأَن نَّزَكُّكُمْ إِلَّا لِيَذَّابَكُمْ } . الاستفهام في قوله : أفحسبتم للأنكار ، والحسبان هنا معناه : الظن . يعني : أظننتم أنا خلقناكم عبثاً لا لحكمة ، وأنكم لا ترجعون إلينا يوم القيامة ، فنجازيكم على أعمالكم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً شر ، ثم نزلّه جل وعلا نفسه ، عن أن يكون خلقهم عبثاً ، وأنهم لا يرجعون إليه للحساب والجزاء . .

وقوله : { فَتَدْعَالِي اللَّيْلُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } أي تعظم وتقدس ، وتنزه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ، ومنه خلقكم عبثاً سبحانه وتعالى ، عن ذلك علواً كبيراً . .

وما تضمنته هذه الآية من إنكار الظن المذكور جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَا لِكُطْمَانٍ } الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ { وقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا لِبَالِحِ الْحَقِّ } وقوله تعالى : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى \* أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِّى يُمْنًى \* ثُمَّ كَانَ عَلَاقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى \* فَجَعَلَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى } وقوله : سدى : أي مهملاً لا يحاسب ولا يجازي ، وهو محل إنكار ظن ذلك في قوله : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى } وقوله : عبثاً : يجوز إعرابه حالاً ، لأنه مصدر منكر أي إنما خلقناكم في حال كوننا عابثين ، ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله : أي إنما خلقناكم ، لأجل العبث لا لحكمة اقتضت خلقنا إياكم ، وأعربه بعضهم مفعولاً مطلقاً ، وليس بظاهر . قال القرطبي

عبثاً : أي مهملين ، والعبث في اللغة : اللعب ، ويدل على تفسيره في الآية باللعب قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ } وقوله : { الْمَلِكُ الْحَقُّ } قال بعضهم أي الذي يحق له الملك ، لأن كل شيء منه وإليه . وقال بعضهم : الملك الحق : الثابت الذي لا يزول ملكه ، كما قدمنا إيضاحه في سورة

النحل في الكلام على قوله تعالى : { وَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَمْرُ } وإنما وصف عرشه بالكرم لعظمته وكبر شأنه والظاهر أن قوله : { وَأَن نَّزَكُّكُمْ إِلَّا لِيَذَّابَكُمْ } معطوف

على قوله : { أَرْسَمَ مَا خَلَقْتُمْ عِبَادًا } خلافاً لمن قال : إنه معطوف على قوله :  
عبثاً ، لأن الأول أظهر منه والعلم عند الله تعالى .